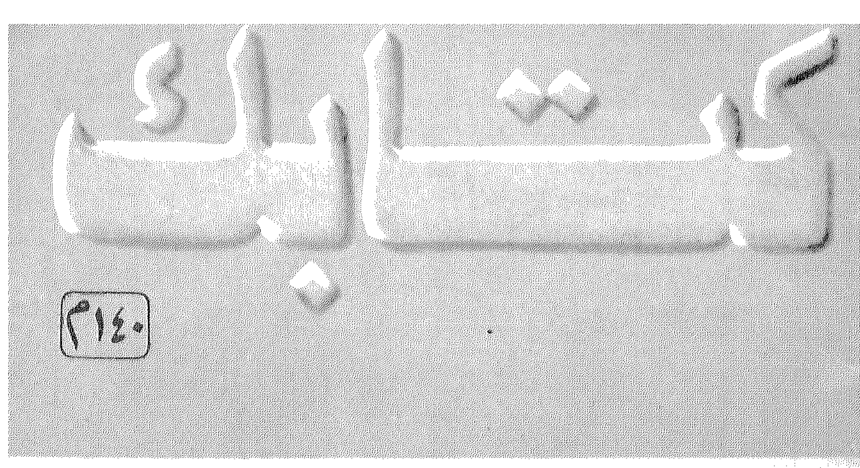
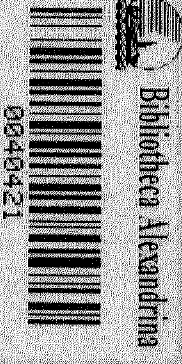
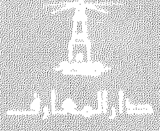


فــؤاد كامــل

الشخصية بين الحرية والعبودية







اقرأ ١٤٠

رئيس التحرير أنيس منصور

فؤاد كامل

الشخصية بين الحرية والعبودية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

رأى فى الشخصية

هذا رأى الفيلسوف المعاصر « نيقولا برديائف »[1] فى الشخصية .. أحببت أن أطلع عليه القارئ العربى لأصالته وطرافته وعمقه فى آن واحد . فهذا الفيلسوف الوجودى المتصوف يجعل من الشخصية الإنسانية محوراً لفلسفته ، ويضفى عليها من القيمة ما يذكرنا بجوهر النظرة الإسلامية إلى الإنسان ، أعنى بوصفه خليفة الله على الأرض . وقد عرض « برديائف » رأيه هذا فى الشخصية فى كتابه القيم : « العبودية والحرية » . وفيما يلى ملخص هذا الرأى :

---

(١) نيقولا ألكسندر وفيتش برديائف (كييف ١٨٧٤ – كلامار ١٩٤٨) أشهر الفلاسفة الروس المحدثين . كان أستاذاً لفلسفة اللغة فى جامعة موسكو (١٩٢٠) ، ولكنه اختلف مع الحكومة السوفيتية من حيث العقيدة السياسية والدينية ، فأصدرت حكمها بنفيه (١٩٢٢) مع مائة من المفكرين الآخرين ، وأقام منذ ذلك الحين بضاحية كلامار على مقربة من باريس حتى وافته منيته . وقد ترك برديائف تراثاً ضخماً من المؤلفات الفلسفية ، ترجم معظمها إلى لغات عديدة . ومن أهمها « الذاتية والمثالية فى الفلسفة الاجتماعية » و « من وجهة نظر الخلود » « الوعى الدينى الجديد والمجتمع » و « فلسفة الحرية » و « تصور دوستويفسكى للعالم » و « معنى التاريخ » و « عصور وسطى جديدة » و « مصير الإنسان » و« العبودية والحرية » ..... الخ . ونقل كاتب هذا المقال إلى العربية ثلاثة من كتبه هى : « العزلة والمجتمع » و « الحلم والواقع » و « أصل الشيوعية الروسية » . وفلسفة برديائف دينية فى جوهرها ، وهى تأمل لتجربة فردية فى ضوء الإيمان المسيحى .

٤

لغز الإنسان :

الإنسان فى هذا العالم لغز ، بل لعله اللغز الأكبر ! وليس الإنسان لغزًا لأنه حيوان اجتماعى ، أو بمعنى آخر لأنه جزء من الطبيعة وعضو فى مجتمع ، بل هو لغز لأنه شخص ، ولأنه يمتلك شخصية . فالعالم كله ليس شيئًا إذا قورن بالشخصية الإنسانية ، وبشخص الإنسان الفريد ، ومصيره المتفرد . الإنسان يعيش فى كَبَدَ ، ويتحرق إلى معرفة نفسه ، من أين جاء ، وإلى أين هو ذاهب . ويستطيع الإنسان أن يعرف نفسه من أعلى أو من أسفل ، من نوره الخاص ، من المبدأ الإلهى الكامن فى طبيعته ، أو من ظلامه الخاص ، من مبدأ اللا شعور الأولى الشيطانى المستقر فى أعماقه . وهو يستطيع أن يفعل ذلك لأنه كائن مزدوج متناقض ، فهو شبيه الإله ، وشبيه الحيوان ، يسمو إلى الذّرا وينحط إلى الحضيض ، حر ومستعبد ، قادر على أسمى أنواع الحب والتضحيات ، ولكنه خليق فى الوقت نفسه بارتكاب أبشع ضروب القسوة والعنف والأنانية .

إزدواج متناقض :

وقد أدْرك كلٌّ من « دوستويفسكى » و « كيركجورد » و « نيتشه » هذا الطابع المأساوى الفاجع فى الإنسان ، وهذا التناقض فى طبيعته

إدراكاً حاداً متميزًا ، وسبقهم « بسكال » إلى التعبير عن هذا الازدواج في الإنسان تعبيرًا صادقاً مؤثرًا . وإذا كان بعض المفكرين قد نظروا إلى الإنسان بوصفه كائناً ساقطاً تتحكم فيه القوى الأولية ، وتحركه المنافع المادية ، والدوافع الحسية اللا شعورية ، فإنّ عدداً آخر من المفكرين قد شهد للإنسان بأنه يتعذب من جرّاء هذه السقطة ، وبأنه يريد أن يكفّر عنها ، ويرتفع فوقها . ووعى الإنسان بشخصيته هو الذى يتحدث عن طبيعته التواقة إلى الصعود ، وعن رسالته السامية .الشخصية دليل على أن العالم ليس مكتفياً بذاته ، وأن فى الإمكان التغلب عليه وتجاوزه . وعندما يدخل الشخص الإنسانى العالم ، وعندما تظهر الشخصية الإنسانية الفريدة التى لا تتكرر ، ينقطع مجرى التاريخ ، ويُرغم على تغيير مساره ، وإن لم تظهر على ذلك علامة فى الخارج .

فالإنسان ، الإنسان الوحيد الذى تعرفه علوم البيولوجيا والاجتماع ، الإنسان بوصفه كائناً طبيعياً واجتماعياً – هو نتاج هذا العالم والعمليات التى تجرى فيه . ولكنه بوصفه شخصية ، لا يعد وليد هذا العالم ، بل ينحدر حين ذاك من أصل آخر ، وسلالة أخرى . وهذا ما يجعل الإنسان لغزًا ، لأن الشخصية ولوج واقتحام ، ادخال شيء جديد فى هذا العالم .

والإنسان لا يكون شخصية لأنه يمت إلى الطبيعة بنسب ، بل هو بالروح شخصية ، وبالطبيعة فرداً Individual . وليست الشخصية

« ذرة روحية » (موناد Monad) تندرج تحت فئات متصاعدة من « المونادات » وتخضع لها ، وإنما الشخصية «كون مصغر» (ميكروكوسموس Microcosmos) ،كون كامل . ولا يمكن أن تكون جزءًا فى علاقة مع كلٍّ من أى نوع آخر ، أيًّا كانت ضخامته ، حتى لو كان هذا الكل هو الكون بأسره . هذا هو المبدأ الأساسى فى الشخصية ، وهذا هو سرها . و « الموناد » مغلقة موصدة ، لا أبواب فيها ولا نوافذ ، أما الشخصية فتنفتح اللا نهاية أمامها ، وهى تدخل اللا نهاية ، وتحتضن اللا نهاية ، وفى اكتشافها لذاتها تتجه صوب مضمون لامتناه .

بيد أن الشخصية تفترض فى الوقت نفسه شكلا وحدوداً ، فهى لا تمتزج بالبيئة المحيطة بها ولا تذوب فى العالم من حولها . الشخصية هى الكلى فى شكل فردى لا يتكرر . هى اتحاد الكلى اللا متناهى فى الفردى الجزئى . وفى هذا التناقض الظاهرى تقوم الشخصية . فالشخصى فى الإنسان هو ذلك الذى لا يشترك فيه مع الآخرين ، بيد أن هذا الذى لا يشارك الآخرين فيه يتضمن إمكانية وجود الكلى بالقوة . الشخصية ليست جزءًا من الكون ، وإنما الكون جزء من الشخصية ، صفة من صفاتها ، وخاصية من خصائصها .

الشخصية هى اللا متغير فى التغير ، وهى الوحدة فى المتعدد . وأنه لما يثير دهشتنا حقًّا أن نجد اللا متغير فى الإنسان دون أن نجد التغير ، أو أن نجد التغير دون أن نجد اللا متغير ، أو حين نجد الوحدة دون أن نجد

التعدد ، أو التعدد دون الوحدة . ففى كلتا الحالتين تتبدى صفة الشخصية الجوهرية ، وخاصيتها الأساسية . فليست الشخصية حالة متجمدة ثابتة ، بل هى تنمو وتتطور وتزداد ثراء ، ولكنه نمو وتطور وثراء ذاتٍ واحدة بعينها . وما يحدث من تغير فإنما يحدث للمحافظة على هذه الذات الثابتة اللا متغيرة .



البناء الذاتى المستمر للشخصية

والشخصية ليست بحال من الأحوال من المعطيات الجاهزة ، ولكنها وضع لسؤال ، وطرح لمشكلة ، هى المثل الأعلى للإنسان ، فالوحدة الكاملة التامة للشخصية مثل أعلى يصبو إليه الإنسان ويتوق إلى بلوغه . الشخصية تبنى نفسها دائماً وأبداً ، ولا يستطيع إنسان كائناً ما كان أن يقول عن نفسه إنه شخص بالتمام والكمال . بل على الشخصية أن تشيد نفسها وأن تثرى ذاتها ، وأن تمتلئ بمضمون كلى ، وأن تحقق الوحدة فى مدى عمرها . فهى ليست فى بداية الطريق ولكنها فى نهايته ، وهى ليست أجزاءً يُضاف بعضها إلى البعض الآخر ، وهى ليست تركيباً أو تكويناً لكل ما من هذه الأجزاء ، وإنما تعنى بالأحرى الأفعال الخلاّقة للشخصية ، بوصفها كُلاً متكاملا ، وهى حاضرة بوصفها كُلاً متكاملا فى كل فعل من أفعالها . فللشخصية شكل فريد غير متكرر هو ما يسمى بالجشطالت Gestalt . وربما كان علم نفس الجشطالت الذى يرى أن الشكل هو القيمة الكيفية الأولية – هو أقرب اتجاهات علم النفس إلى النزعة الشخصانية .

وانقسام شكل الشخصية لا يعنى بحال من الأحوال اختفاءها النهائى ، ذلك أن الشخصية شيء لا يناله التدمير أو الفناء . فهى تحيا

وفقاً لمصيرها الخاص ، وتستمد ينبوع قوتها من وجود يعلو عليها (هو وجود الله ′

وفى كل شخصية إنسانية ثمة ما هو مشترك ، ما هو كل ، وليس هذا هو الكلى الداخلى الذى تكتسبه الذاتى بفعل خلاّق لمضمون كيفى من مضامين الحياة ، ولكنه كلى خارجى . غير أن الشخصية — هذه الشخصية المتفردة — توجد بمالها من تعبير غير مشترك ، لا بأن لها عينين كالآخرين ، وبما فى هذين العينين من تعبير مشترك . وهناك فى الشخصية الإنسانية الكثير مما يتسب إلى الجنس البشرى ، وينتمى إلى التاريخ والتراث والمجتمع والطبقة والأسرة ، الكثير مما هو وراثى تقليدى ، الكثير مما هو « مشترك » . بيد أن هذا بالذات هو ما ليس « شخصياً » فى الشخصية . أمّا ماهو « شخصى » فيتصف بالأصالة ويرتبط بالينبوع الأولى الحقيقى للوجود .

ينبغى أن تكون الشخصية هى « الاستثناء » . وكل ما هو نوعى ووراثى ما هو إلاّ مادة لنشاط الشخصية الخلاّق . وما تلقيه الطبيعة والمجتمع على الإنسان من أعباء وأحمال ثقال ، وما يحمّله إيّاه التاريخ والحضارة من مطالب ومهام جسام ، يتخذ هذا كله هيئة الصعوبات التى تتحدانا ، والتى تثير فينا روح المقاومة والعزم على تحويلها إلى ما هو شخصى ، أو استيعابها فى شخصيتنا بجهد خلاّق . فالشخصية فى

الإنسان هى الانتصار على ما تفرضه علينا الطبيعة والمجتمع والتاريخ والوراثة من تحديدات وقيود ، هى انتصار الحرية على العبودية ، انتصار على الذات وعلى العالم ... الشخصية مجهود وصراع وتحرر .



العقلانية والحرية

والشخصية كائن عقلانى ، بيد أنها لا تتحدد بالعقل وحده ، ذلك لأن العقل فى حد ذاته شيء لا شخصى ، لأنه كلى مشترك بين جميع الناس . وطبيعة الإنسان الأخلاقية والعقلية عند «كانت» طبيعة لا شخصية مشتركة . والفكر اليونانى حين فهم الإنسان على أنه كائن عاقل لم يقترب من الفلسفة الشخصانية ، فالشخصية ليست كائنًا عقلانيا فحسب ، بل هى أيضاً كائن حر . الشخصية هى جماع تفكيرى ، وجماع شعورى ، وجماع إرادتى ، وجماع نشاطى الخلاّق . أما العقل فى الفلسفة اليونانية ، وفى المثالية الألمانية فعقل لا شخصى ، عقل كلى . ولكن هناك أيضًا عقلى الشخصى ، وبالأخص إرادتى الشخصية . ولهذا لا يمكن أن تؤسس النزعة الشخصانية على المثالية ، سواء كانت أفلاطونية أو ألمانية ، كما لا يمكن أن تقوم على النزعة الطبيعية أو الفلسفة التطورية أو الحيوية ، وهى جميعاً فلسفات تذيب الشخصية فى عمليات لا شخصية أو كونية أو حيوية . وكان لماكس شيلر Max Scheler فضل تحديد الاختلاف بين الشخصية والكل العضوى organism ، وبين الوجود الروحى والوجود العضوى .

فالشخصية ليست مقولة بيولوجية أو نفسية ، ولكنها مقولة أخلاقية

روحية . ولا يمكن أن تتطابق الشخصية مع النفس ، لأن لها أساساً أوليًّا – لا شعوريًّا . والإنسان فى حياته اللا شعورية غارق فى خضم الحياة الأولية الهادرة العاصفة ، ولا يَخْضع للعقل إلاّ شطرٌ ضئيل منه ، ولابد من التمييز فيه بين « الأنا » العميق والأنا السطحى . وكثيرًا ما يبدى الإنسان للآخرين وللمجتمع « أناه » السطحى فحسب ، ذلك الأنا الذى يقدر على ضروب شتى من الاتصال Communication الخارجى ، ولكنه يَعْجز عن التواصل Communion . وقد اهتدى تولستوى إلى هذا المعنى اهتداء بديعًا ، فهو يصور لنا دائماً حياة الإنسان المزدوجة : حياته الخارجية المتقلبة مع الظروف ، الزائفة غير الحقيقية التى تظهر فى علاقته بالمجتمع والدولة والمدنية ، وحياته الباطنية الحقيقة التى يواجه فيها الإنسان الواقعَ الأولى ، وأغوارَ الحياة . وعندما يتأمل « الأمير آندرو » فى رواية « الحرب والسلام » السماء المرصعة بالنجوم يحيا فى هذه اللحظة حياة أصدق من حياته حين يشتبك فى المناقشة فى أحد صالونات بطرسبرج . فالأنا السطحى المتحضِّر المتعقل الاجتماعى ليس هو الشخصية فى الإنسان ، بل ربما كان تشويهاً لصورة الإنسان ، قناعاً يخفى شخصيته . والإنسان يلعب دوراً فى الحياة ، وربما كان الدور الذى يلعبه ليس هو دوره الحقيقى ، بل وقد يكون الزيف والتزييف ضرورة مفروضة على الإنسان كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس . وهكذا يمكن أن يتخذ الإنسان المتمدن المتحضر صورة لا شخصية

تماماً ، فيصبح عبداً دون أن يفطن إلى ذلك .

وليست الشخصية جزءاً من المجتمع ، كما أنها ليست جزءاً من الجنس . فمشكلة الإنسان ، أعنى مشكلة الشخصية أعمق من مشكلة المجتمع وأشد أولية . والمذاهب الاجتماعية عن الإنسان خاطئة كلها ، لأنها لا تعرف إلا القشرة السطحية الموضوعية من الإنسان . والنظر إلى الأشياء من وجهة النظر الاجتماعية يقف عند الظاهر الخارجى للشخصية بوصفها جزءاً ثانوياً من المجتمع ، بل جزءاً شديد الضآلة إذ قيس بضخامة المجتمع ، ولهذا لا تستطيع إلا فلسفة وجودية — لا فلسفة اجتماعية أو بيولوجية — أن تضع مذهباً حقيقاً عن شخصية الإنسان .

والشخصية ذات ، وليست موضوعاً بين سائر الموضوعات ، وهى تضرب بجذورها فى النظام الباطن للوجود ، أعنى فى العالم الروحى ، عالم الحرية . أما المجتمع فيمكن النظر إليه كموضوع ، فهو من وجهة النظر الوجودية جزء من الشخصية ، وهو جانبها الاجتماعى ، كما أن الكون جزء من الشخصية ، هو جانبها الكونى . ليست الشخصية موضوعاً بين موضوعات ، أو شيئاً بين أشياء ، وإحالتها إلى موضوع أو شىء معناه موتها . وقد يقال إن الطبيعة والمجتمع يزودان الإنسان بالمادة التى يؤلف بها شخصيته . والواقع أن الشخصية تحرر من الاعتماد على الطبيعة ، ومن الاعتماد على المجتمع وعلى الدولة ، وهى تعارض كل تحديد من الخارج ، لأنها تحديد من الداخل دائماً . بل إن العلاقة بين

الله والشخصية ليست علاقة سببية ، وإنما تقوم هذه العلاقة خارج مجال التحديد ، وإنما تقوم داخل مجال الحرية . فالله ذات بالنسبة للشخصية ، ذات يمكن أن تنشأ بينه وبين الشخصية الإنسانية علاقات وجودية . أما كل ما يتحدد من الخارج ، وكل ما يقوم على قوة عالم الأشياء والموضوعات ، فهو غير شخصى ، هو اللا شخصى فى الإنسان . وكل ما يتحدد فى الأنا الإنسانى ينتسب إلى الماضى ، ويصبح لا شخصياً .

الشخصية والمستقبل

بيد أن الشخصية هى إخراج المستقبل إلى حيز الوجود ، وهى تتألف من أفعال خلاقة . ووجود الشخصية يفترض الحرية ، وسر الحرية هو سر الشخصية . وليست هذه الحرية هى حرية الإرادة بالمعنى الأولى الذى هو حرية الاختيار الذى يفترض التعقل . فقيمة الإنسان تكمن فى الشخصية التى يضمها بين جوانحه ، والقيمة الإنسانية هى التحرر من العبودية ، بل هى التحرر من الفهم الذليل للحياة الدينية ، وللعلاقة بين الإنسان والله . فالله هو الضامن لحرية الشخصية من القوة المستعبِدة للطبيعة والمجتمع ، لمملكة قيصر ولعالم الموضوعات . وهذا كله يتم فى ملكوت الروح لا فى عالم الموضوعات والأشياء ، ولا شىء من مقولات العالم الموضوعى يمكن أن تُنْقَل إلى هذه العلاقات الوجودية الباطنة .

والشخصية بوصفها مركزاً وجوديًّا تفترض القدرة على الشعور بالألم والفرح . وليس فى العالم الموضوعى ، سواء كان أمة أو دولة أو مجتمعاً أو مؤسسة اجتماعية أو كنيسة ما يملك هذه القدرة . وهم يتحدثون عن آلام الجماهير بمعنى مجازى ، إذ لا يمكن وصف أية جماعة أو طائفة فى عالم الموضوعات بأنها شخصية . والحقائق الجماعية قيم حقيقية ، ولكنها ليست

شخصيات حقيقية . وقد يسمح الإنسان بالكلام عن نفوس جماعية ، لا بالكلام عن شخصيات جماعية .

تحقيق الشخصية :

والحق أن الإنسان بطبعه يميل إلى تجسيد كل ما يحب وكل ما يثير شفقته ، من جمادات أو أفكار مجردة ، بيد أن هذه عملية شاعرية إن صح هذا التعبير ، ولكنها لا تعنى أن هذه التجسيدات شخصيات حقيقية . فليست الشخصية قادرة على معاناة الألم فحسب ، ولكنها الألم نفسه بمعنى من المعانى . فالنضال من أجل تحقيق الشخصية وبلورتها عملية أليمة محفوفة بالمكاره والمخاطر . وتحقيق الشخصية لذاتها يفترض المقاومة ، ويقتضى مصارعة القوى التى تستعبد الإنسان فى العالم ، ورفضًا للمطابقة مع العالم . أما الإحجام عن تكوين الشخصية ، والاستسلام للذوبان فى العالم المحيط فيمكن أن يخفف من العذاب والألم . وما أيسر أن يسلك الإنسان هذا السبيل ، فالاستسلام للعبودية يقلل الألم ، أما رفضها فيضاعفه . والألم فى العالم الإنسانى هو علامة مولد الشخصية . وكفاحها من أجل بلوغ طبيعتها الخاصة . وقيمة الإنسان ، أو قيمة الشخصية تقدر بقدرته على تحمل الآلام . وهذه القدرة على تحمل الآلام لا وجود لها فى الهيئات أو المؤسسات الجماعية ، أو فى القيم المثالية . فالشخصية الإنسانية إذن هى القيمة العليا ، وليست

المجتمع أو الهيئات الجماعية التى تنتمى إلى عالم الموضوعات كالمجتمع أو الأمة الدولة أو المدنية أو الكنيسة .

وترتبط الشخصية بالذاكرة ، وتتصل بمصير الإنسان كله ، وبتاريخ حياته كله ، ومن ثم فإن وجـود الشخصيـة أمر عسير وأليم . وعلى الفلسفة الشخصانيـة أن تدرك أن الروح – التى هى منبع الشخصية – لا تعمم وإنما تنزع إلى التفريـد إن صـح هذا التعبير . "Spirit does not generalize but individualizes" وهذا معناه أنها لا تبـدع عالماً من القيم المثاليـة المشتركة العالية على ما هـو إنسانى ، وإنما تبدع عالماً من الشخصيات الذين يتميزون بمضمون كيفى . وانتصار المبدأ الروحى لا يعنى إخضاع الإنسان للكون ، بل يعنى الكشف عن الكون فى الشخصية . ولو أن إنساناً تخيل أنه وُهب أعظم المواهب من عقل وعبقرية وجمال وخير وقداسة ، ولكن مع إزالة المركز الوجودى فيه ، وزحزحة مركز الثقل فى الأنا إلى المبادئ الكيفية الكلية ، فكأنما أضفى الأنا كل هذه الصفات على كائن آخر ، ولاختفت حين ذاك وحدة الذات وتاريخها الحى ، ولم تعد الذاكرة حافظة للشخصية . وهنا يكمن زيف الفلسفة المثالية عن القيم وعن الوجود المثالى .

الإنسان هو الكائن الذى يتجاوز ويعلو على نفسه . وتحقيق الشخصية للإنسان هو هذا العلو المستمر على الذات . فالإنسان ينزع دائماً إلى الخروج من دائرة الذاتية المغلقة ، وهذه الحركة تتم دائماً فى اتجاهين

مختلفين متعارضين . فقد يتخذ الخروج من الشخصية طريق الإحالة الموضوعية Objectivization وهذا الطريق يؤدى إلى المجتمع بقوانين إلزامه الكلية . وفيه تتعرض الطبيعة الإنسانية للاغتراب والضياع فى عالم الموضوعات ، وينتهى الأمر بألا تعثر الشخصية على نفسها . أمّا الطريق الآخر للخروج من الذاتية فيكون من خلال عملية العلو ، ويكون بالعبور إلى ما يتجاوز الذات Transsubjective لا إلى ما هو موضوعى . وهذا السبيل يمتد فى أعماق الوجود ، ويتم فيه ذلك الالتقاء الوجودى بالله وبالآخرين ، وبالوجود الباطنى للعالم . وليس هو سبيل الاتصال الموضوعى ، بل سبيل التواصل الوجودى . ولا تبلغ الشخصية تحققها الكامل إلا فى هذا السبيل .

سمات الشخصية :

ولابد من إدراك هذا المعنى جيداً لكى نفهم العلاقة بين الشخصية وبين القيم العالية على الشخصية Superpersonal ، فالعلاقة بين الشخصية وبين القيم العالية عليها إما أن يتم فى مجال الإحالة إلى الموضوعية ؛ وهنا تنشأ فى يسر عبودية الإنسان ، أو يتم فى المجال الوجودى ، بعملية صعود وعلو ، وهنا تتولد الحياة مع الحرية . فالإحالة الموضوعية لا يمكن أن تكون تصاعداً وعلوًّا ، إذ فيها يجد الإنسان نفسه فى قبضة الحتمية ، وتحت سيطرة اللا شخص . أما فى العلو ، فيجد

الإنسان نفسه فى مجال الحرية ، والتقاء الإنسان بما يتجاوزه يكون له طابع شخصى ، وما هو عال على الشخصية لا يسحق الشخصية . وهذا تمييز أساسى . فمن سمات الشخصية أنها لا تكبت ذاتها ولا تكتفى بذاتها فى الوقت نفسه . ثمة شيء آخر ضرورى لوجودها ، شيء أعلى منها ، وبغير هذا يكون الشعور بالاختلاف والتميز والتغاير مستحيلا . بيد أن علاقة الشخصية بالآخر ، حتى فى أعلى مستوياته ، ليست هى علاقة الجزء بالكل ، بل إن الشخصية تظل فى هذه العلاقة متكاملة ، ذلك لأن علاقة الجزء بالكل علاقة رياضية ، كما أن علاقة العضو بالجهاز العضوى علاقة بيولوجية . وعلى ذلك فإن العلو لا يعنى أن الشخصية قد أصبحت خاضعة لكل أياً كان ، وإنما العلو عملية إيجابية دينامية ، هى تجربة الإنسان الباطنة ، التى يجتاز فيها كوارث وأزمات ، ويعبر فيها هوّات وفجوات ، ويعانى فيها نكسات وانكسارات ، ولكنه فى كل هذا يزداد ثراء من الداخل لا من الخارج . فالعلو بالمعنى الوجودى هو الحرية ، كما أنه يفترض الحرية .. هو تحرر الإنسان من عبوديته لنفسه . غير أن الحرية بهذا المعنى ليست أمرًا يسيرًا ، ولكنها أمر شاقّ عسير ، يتم من خلال التناقض الفاجع .

ومشكلة الشخصية تختلف تماماً عن المشكلة المألوفة فى الفلسفة ، ألا وهى علاقة الروح بالجسد . فالشخصية ليست هى بكل تأكيد الروح متميزة عن الجسد الذى يربط الإنسان بحياة الطبيعة . الشخصية هى

صورة الإنسان بأكملها ، والتى يسود فيها المبدأ الروحى على كل قوى الإنسان جسداً ونفساً . ووحدة الشخصية شيء تخلقه الروح . أما الجسد فينتمى إلى صورة الإنسان ، وتلك الثنائية القديمة بين النفس والجسم التى انحدرت إلينا من ديكارت صورة زائفة باطلة . فمثل هذه الثنائية لا وجود لها . وحياة النفس تشيع فى حياة الجسد كلها ، كما أن الحياة الجسدية تؤثر على حياة النفس . فهناك وحدة حيوية بين النفس والجسم فى الإنسان . أما الثنائية الحقيقية فلا توجد بين النفس والجسم ، وإنما بين الروح والطبيعة ، بين الحرية والضرورة . والشخصية هى انتصار الروح على الطبيعة ، والحرية على الضرورة .

الشخصية بين الفلاسفة

ويقف بردياثف وقفة قصيرة مع تاريخ المشكلة فيقول : إن الفلسفة اليونانية لم تكوِّن فكرة واضحة عن الشخصية ، وإنما ظهرت لمحات من الفهم فى الفلسفة الرواقية . وكان هذا سبباً فى ظهور صعوبات كبيرة لدى آباء الكنيسة فى عرض العقيدة المسيحية فى ثوب فلسفى ، ذلك أن فكر هؤلاء الآباء كان يجول داخل مقولات الفكر اليونانى وتصوراته . ومع ذلك فقد كان لا مناص من التعبير عن شيء جديد ، عن تجربة روحية جديدة ، لم يعرفها أفلاطون أو أرسطو أو أفلوطين . ويمكن القول بوجه عام أن إدراك الله بوصفه شخصية قد سبق إدراك الإنسان بوصفه كذلك . وكانت كلمة Persona تعنى « القناع » باللغة اللاتينية ، أى الدور الذى يقوم به ممثل على المسرح ، ولكنها فقدت على مر العصور معناها المسرحى وانتقلت من الاسكلائيين عن طريق الفيلسوف بويتيوس Boetius الذى عرّف الشخصية بأنها الموجود الفردى المتعقل ، وكانت مشكلة الشخصية من المشكلات المعقدة فى الفلسفة الاسكلائية ، فقد ربطت التوماوية (فلسفة القديس توما الأكوينى وأتباعه) بين الفردية وبين المادة : فالمادة — لا الصورة — هى التى تعطى الفردية ، أما الصورة فهى كلية . بيد أن الفلسفة التوماوية توصلت إلى

تلك التفرقة العامة الهامة بين الشخصية والفرد . وتتألف الحقيقة الجوهرية للشخصية عند « ليبنتس » فى الوعى بالذات ، ومعنى ذلك أن صورة الشخصية ترتبط بالوعى . أما « كانت » فقد أحدث تغييرًا هامًّا فى فهم الشخصية ، فقد انتقل من التصور العقلى للشخصية إلى التصور الأخلاقى . فالشخصية ترتبط بالتحرر من حتمية الطبيعة ، وهى مستقلة عن آلية (ميكانيزم) الطبيعة . ولهذا السبب ليست الشخصية ظاهرة بين الظواهر ، إنما الشخصية غاية فى ذاتها ، وليست وسيلة لأية غاية ، فهى توجد من خلال نفسها . ومع ذلك فإن نظرية « كانت » فى الشخصية ليست نزعة شخصانية حقيقة ، لأن قيمة الشخصية تتحدد فيها بطبيعتها الأخلاقية العقلية التى تندرج تحت مقولة الكلى .

وعند ماكس شترنر نجد أول نظرية حقيقية فى الشخصية ، على الرغم من بطلان فلسفته ككل – وإن تكن هذه النظرية معروضة فى صورة مشوهة . فهنا يظهر ديالكتيك التوكيد الذاتى للأنا . فالواحد المتفرد عنده لا يمكن أن يكون هو الشخصية ، وذلك لأن الشخصية تختفى فى لاتناهى وكيد الذاتى ، فى عدم استعدادها لمعرفة الآخر ، وعجزها عن مواصلة العلو إلى أقصى مداه . ولكن ثمّة لمحة من الحق فى هذا « الواحد المتفرد » ، ذلك لأن الشخصية كون ، كون مصغر « ميكروكوسموس » والعالم كله ملك لها ، وينتمى إليها بمعنى من المعانى . ويعرّف شيلر Scheler الشخصية بأنها وحدة التجربة ، وبأنها الوحدة

الوجودية لأفعال متباينة . وهنا نجد ربطاً هاماً بين الشخصية والفعل . ولكن ينبغي الاعتراف ، وفى هذا ما يتعارض مع شيلر – أن الشخصية تفترض وجود الشخصيات الأخرى ، والخروج للالتقاء بهم . ولفيلسوف روسى هو نيسميلوف Nyesmyelov أفكار قيمة عن الإنسان ، إذ لا يوجد فى نظره غير تناقض واحد فى العالم ، وغير لغز واحد فحسب ، هو لغز الشخصية الإنسانية . فنى الشخصية تنعكس صورة الوجود اللا مشروط ، وفى الوقت نفسه توضع الشخصية فى ظروف الوجود المحدد . وهذا تناقض بين ما ينبغى أن تكون عليه الشخصية الإنسانية ، وظروف وجودها على الأرض . ويعبر نيسميلوف عن التناقض الذى يتسم به الوجود الإنسانى على هذا النحو : الإنسان شىء فى العالم الفزيانى ، يحمل بين جوانحه صورة الله . بيد أن الشخصية فى الإنسان ليست شيئاً فى العالم الفزيانى . والفلسفة الحيوية التى أثرت تأثيرًا كبيرًا فى الفكر المعاصر ، التى لها نظريتها الخاصة عن الإنسان ، لا تحبذ مبدأ الشخصية ، فهى مضادة للنزعة الشخصانية ، إذ تؤدى إلى تذويب الشخصية الإنسانية فى العملية الكونية والاجتماعية .

مقولة الفرد :

والحق أننا لكى نفهم الشخصية حق فهمها ، يجب أن نضع تلك التفرقة الهامة بين الشخصية والفرد . وهى تفرقة يلح عليها أصحاب

النزعة التومارية من الفرنسيين ، وإن يكن الأساس الفلسفى الذى يقيمون عليه تفرقتهم مختلفاً عن الأساس الذى يقيم عليه برديائف نظريته . فالفرد مقولة من مقولات النزعة الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية ، والفرد غير قابل للانقسام بالنسبة لكلٍّ معين ، فهو ذرة . وهو لا يستطيع أن يكون عضوًا فى نوع أو جماعة أو حتى فى الكون ككل فحسب ، بل إنه لا يمكن التفكير فيه أو تصوره إلا بوصفه جزءًا من كلٍّ ، وخارج هذا الكل لا يمكن أن يسمى فردًا .

ويتميز الفرد بأنه جزء تابع لكل من ناحية ، وبأنه جزء يؤكد ذاته بوصفه « أنا » من ناحية أخرى . ومن ثم فإن الفردية – المشتقة من كلمة فرد – لا تعنى بالتأكيد أنها مستقلة فى علاقتها بالكل ، أى فى علاقتها بالعملية الكونية البيولوجية والاجتماعية ، وإنما لا تعنى إلاّ انعزال الجزء التابع فى تمرده الضعيف على الكل . فالفرد يرتبط ارتباطاً وثيقًا بالعالم المادى ، وقد تولّد عن العملية الجنسية ، من أب وأُم ، فهو من أصل بيولوجى تحدده الوراثة العائلية ، وكذلك الوراثة الاجتماعية ، فلا وجود لفرد بغير أسرة ، أو أسرة بغير فرد . والفرد موجود داخل مقولات تميز بين ما ينتمى إلى النوع وما ينتمى إلى الفرد . فمن المؤكد أن الإنسان فرد ولكنه ليس فردًا فحسب ، إنه شخصية أيضًا . وفكرة الإنسان ورسالته فى هذا العالم مرتبطان بشخصيته . وهنا يتغير كل شىء ، فليست الشخصية مقولة طبيعية ، ولكنها مقولة روحية ، وليست هى

مالا ينقسم ، أو ذرة فى علاقتها بأى كل مهما كان ، سواء كان كونيًا أو عائليًا أو اجتماعيًا . الشخصية هى الحرية وهى استقلال الفرد فى علاقته بالطبيعة والمجتمع والدولة . وليست الشخصية مجرد توكيد أنانى للذات ، بل هى عكس ذلك تمامًا ، فهى لا تعنى – شأنها فى ذلك شأن النزعة الفردية – انعزالا متمركزًا على الذات Egocentric isolation الشخصية فى الإنسان هى استقلاله فى العالم المادى ، الذى هو المادة لعمل الروح . فالشخصية لا تولد من أسرة ، ومن عملية كونية ، وإنما تصدر عن الله ، وتعلن ظهورها من عالم آخر . وتشهد بهذا أنها نقطة تقاطع عالمين ، وأن فيها ينشب الصراع بين الروح والطبيعة ، بين الحرية والضرورة ، بين الاستقلال والتبعية .

وكل ما هو شخصى فى الإنسان يتنافى مع أى نوع من أنواع الآلية Automatism ، تلك الآلية التى تلعب دورًا كبيرًا فى الحياة الإنسانية ، سواء كانت نفسية أو اجتماعية . ولا يوجد رجلان فى الإنسان الواحد ، بل الرجل الواحد بعينه يكون فردًا ويكون شخصية ، فليسا هما كائنين مختلفين ، وإنما نوعان من الكيفية ، أو هما قوتان مختلفتان فى الإنسان . ويقول بيجى Péguy إن الفرد هو البورجوازى فى الإنسان الذى ينبغى الانتصار عليه . والإنسان – بوصفه فردًا – يعانى تجربة الانعزال ، والانغلاق المتمركز على الذات ، ومن واجبه أن يشن صراعًا من أجل البقاء ، مدافعًا عن نفسه ضد الأخطار المتربصة به . وهو يشق طريقه

خلال الصعوبات التى تعترضه بالتكيف مع المجتمع والامتثال لتعاليمه . أما الإنسان بوصفه شخصية - وهو هو نفس الإنسان - فإنه يتغلب على الانحصار المتمركز على الذات ، ويكشف عن كون كانت تنطوى عليه نفسه ، ولكنه يصر على الاستقلال والاحتفاظ بكرامته فى صلته بالكون المحيط به .

نستطيع أن نقول بمعنى آخر إن للشخصية درجة من الفردية أعلى رتبة من الفرد . وكثيرًا ما تشير كلمة فرد إلى اللا عقلى فى مضاد المشترك والعقلى والمعيارى . وبهذا المعنى تكون الشخصية لا عقلية ، ويكون الفرد أكثر خضوعاً للقانون الملزم ، مادام هو أكثر تحدداً . ومن الطريف أن نلاحظ أنه فى تاريخ الكشف عن معنى الشخصية ، ذهب الرومانسيون إلى التفرقة بين الفردية والشخصية بالمعنى الذى ذهبنا إليه فى هذه التفرقة . وكان الرومانسيون أكثر وضوحًا فى تحديد الفردية منهم فى التعبير عن الشخصية ، وكان للفردية طابع حيوى أكثر منه روحيًّا ، ولم يكن ثمة ما يشير إلى انتصار الروح والحرية . كما نلمس انعكاسًا لتفكك عميق وانحلال للشخصية فى الرواية المعاصرة ، عند بروست وآندريه بييلى Andrei Byely . فالوحدة الباطنة والتكامل كامنان فى الشخصية ، على حين أن الفرد يمكن أن تمزقه قوى العالم شر ممزق والشخص لا يمكن أن يكون مواطناً كاملا للعالم وللدولة ، لأنه مواطن فى ملكوت الله . ولهذا السبب كانت الشخصية عنصرًا ثوريًّا بالمعنى

العميق لهذه الكلمة . وهذا يرتبط بدوره بحقيقة أن الإنسان كائن لا ينتمى إلى عالم واحد ، بل إلى عالمين . ومن ثمّ فإن النزعة الشخصانية فلسفة ثنائية (Daulistic) ، وليست واحدية Monistic .

ويفترض وجود الشخصية وجودَ قيم فائقة على الشخصية Superpersonal . فلا وجود للشخصية الإنسانية إن لم يوجد وجود أعلى منها ، أو إن لم يكن هناك عالم أعلى منها ترتفع إليه . وهنا نقترب من أصعب مشكلات الفلسفة الشخصانية ، وهذه الصعوبة ترتبط بعادات الفكر التى تنشأ عن الطريقة الزائفة لوضع مشكلة النزعة الاسمية والنزعة الواقعية ، فما هى علاقة الشخصية بعالم الموضوعات ؟

الواقع أن الكلى لا يسبق الأشياء Ante rem (وهذه هى الواقعية الأفلاطونية التى تتساوى مع المثالية) كما أنها لا تأتى بعد الأشياء Post rem (النزعة الاسمية التجريبية) ، ولكنها فى الأشياء in rebus . وهذا يعنى بالنسبة للمشكلة التى نحن بصددها الآن أن الكلى يوجد فيما هو فردى ، أعنى فى الشخصية ، لا بوصفه مستمداً من التجربة الكمية ، ولكن بوصفه كيفاً أوليًّا . فالكلى لا يقوم فى مجال مثالى فائق على الشخص ، ولكن فى الشخصية التى تنتمى للمستوى الوجودى . والكلى وكذلك القيم الفائقة على الشخصية لا تنتسب إلى عالم الموضوعات ، بل إلى عالم الذوات . وليس من شك أن الإحالة الموضوعية للقيم الكلية تمهد الطريق لعبودية الإنسان . فمن الضرورى إذن

أن يقال مثلا إن الكون والجنس البشرى والمجتمع فى الشخصية لا العكس . والكلى ليس هو المشترك ، كما أنه ليس المجرد ، ولكنه العينى ، إنه امتلاء . وهو أقل ما يكون اشتراكاً من حيث إنه ليس وجوداً مستقلا ، وإنما لا يوجد إلاّ فى كائنات مفردة ، فى الأشياء in rebus وفقاً للمصطلح القديم . وليس الفرد جزءًا من الكلى ، ولهذا كان التعارض بين الكلى والمفرد تعارضًا خاطئاً . فليست الشخصية شيئًا جزئيًّا خاصًّا يتعارض مع الكلى ، بل الأولى أن يُقال فى كثير من الحق إنّ الشخصية واحدة من الكليات . وقد حاول ليبنتس أن يتغلب على النزاع القائم بين الواقعيين والاسميين ، فقال إن الكلى المتجسد فى الفرد يتجاوز التضاد بين الكلى والفردى . وما الكلى إلا مشروع ، محاولة تبذلها الذات ، لا حقيقة واقعة فى الموضوع . فلا وجود لعالم موضوعى من الأفكار . بيد أن هذا لا يعنى بكل تأكيد أن الكلى وأن الأفكار والقيم الكلية ليست إلاّ ذاتية بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، وإنما كل ما نعنيه هو أن الإحالة الموضوعية وتجسيد الأفكار الكلية وسيلة زائفة للتغلب على الذاتية . وليست هذه الوسيلة صعوداً أو علوًّا بالمعنى الصادق لهذه الكلمة .

وعلى هذا النحو نفسه نكون مخطئين إذ قلنا إن الله كلى ، أو إن الله فرد ، ذلك أن التميز بين الكلى والفرد يكمن فى مجال الإحالة الموضوعية ، على حين أنه لا ينبغى التفكير فى الله إلا فى المجال الوجودى ، فى تجربة

العلو والصعود . فليست العلاقة بين الإنسان والله هى علاقة العلة بالمعلول ، أو علاقة الجزئى بالكلى ، أو علاقة الوسيلة بالغاية . فهذه العلاقة بين الله والإنسان لا تماثل شيئاً فى هذا العالم . فالإله لا يوجد كواقع موضوعى أرى أنه ضرورى بالنسبة لى ، أو كإحالة موضوعية لفكرة كلية ، وإنما يوجد كاتصال وجودى ولقاء ، كعملية علو ، وفى هذا اللقاء يكون الله شخصية . وهكذا تحسم مشكلة العلاقة بين الشخصية وبين القيم الفائقة عليها على نحو مختلف تمام الاختلاف .

آفاق الشخصية :

والشخصية لا تستطيع العلو ، ولا تستطيع أن تحقق نفسها ، وتحقق اكتمال حياتها ، إلاّ إذا وجدت القيم الفائقة على الشخصية ، وإلاّ إذا كان الله موجوداً ، وكان ثمة مستوى إلهى للحياة . والفكرة الإنسانية القائلة فى هذا الصدد بأن الشخصية الإنسانية هى الغائية الأسمى ، والتى تنكر وجود الله ، وتزعم أن الإنسان نفسه هو الله ، فكرة سخيفة ، فهى لا تسمو بالإنسان ، بل تحط من شأنه . والواقع أن فكرة الشخصية بالمعنى الذى نذهب إليه تعد مفارقة للفكر العقلى وتتسم بالتناقض الظاهرى Paradox ، فهى تضع الشخص إلى جوار الفائق على الشخصى ، والمتناهى إلى جانب اللا متناهى ، والثابت بمحاذاة المتغير ، والحرية فى مواجهة القدر .

وكما أن الشخصية ليست جزءًا من العالم وإنما متضايف معه ، فكذلك هى متضايف مع الله . الشخصية لا تسمح إلا بعلاقة التضايف ، واللقاء والتواصل . ولا يريد الله أن يقهر الإنسان ، ولكنه يريد شخصية تستجيب لندائه ، ويكون تواصل الحب معها ممكناً . ولكل شخصية عالمها الخاص ، والشخصية الإنسانية هى كل شىء بالقوة ، هى فكر العالم كله بالقوة ، وتاريخ العالم كله بالقوة . وكل ما حدث فى هذا العالم يمس شخصيتى ، غير أن هذه الشخصية لا يتحقق فى الواقع إلاّ جزء ضئيل منها ، والشطر الأكبر منها يظل فى حالة سبات واحتجاب . وفى الأعماق التى تحتجب وتتوارى عن وعيى ، أغوص فى محيط الحياة الصاخب . وعندما أقوم بإخراج المضمون الكلى إلى حيز الواقع ، وحين أكشف عنه فى نفسى من خلال المعرفة والحب ، عقليًا وعاطفيًا ، لا أعود أبدًا مجرد وسيلة تجعل من هذا المضمون الكلى غاية لها . وثمة علاقة معقدة متناقضة بين وعيى وبين شخصيتى ، وفرديتى . فالشخصية تشيد وعيها من أعماق النفس كقاعدة دفاعية ، أو كحد فاصل يحول دون الامتزاج والذوبان ، ولكن من الممكن للوعى أن يحول دون امتلاء شخصيتى بالمضمون الكلى ، وأن يعوق التواصل بالكون ككل . ولكن هناك فى الوعى أيضاً ما يعلو على الفردى . فالوعى ينشأ فى العلاقة بين الأنا واللا أنا ، وهو يشير إلى خروج من الأنا إلى الأنت فى تواصل باطنى . وقد يقوم فى هذه الحالة بإحالة موضوعية فيمنع عملية

العلو . فالوعى يتسم دائماً بالشقاء ، لأنه من اليسير أن يقع فريسة للوهم نتيجة لقصوره عن الفهم الصادق للعلاقة بين الشخصى والفائق على الشخصى . بل إن تركيب الوعى نفسه مهيأ للسقوط فى براثن العبودية . فمن الضرورى إذن أن نضع نصب إعيننا دائماً الدور المزدوج للوعى فهو يغلق ويفتح فى آن واحد .

الأنانية والشخصية :

وتقوم النزعة الشخصانية بنقل مركز ثقل الشخصية من قيمة المؤسسات الموضوعية كالمجتمع والأمة والدولة ، إلى قيمة الشخصية ، ولكنها تفهم الشخصية بمعنى يتعارض تعارضًا عميقًا مع الأنانية . ذلك أن الأنانية تدمر الشخصية . وانغلاق الذات وانحصارها المتمركز على نفسها ، والعجز عن الخروج عن دائرتها الضيقة هو الخطيئة الأولى ، الخطيئة التى تحول دون التحقيق الكامل لحياة الشخصية ، والتى تمنعها من أن تكون فعالة ذات تأثير. وربما كانت المرأة المصابة بالهستيريا مثلا واضحًا على الأنانية ، فى افتنانها بنفسها ، وطريقتها الشاذة فى إرجاع كل شىء إلى نفسها . ولكنها فى هذا الافتتان والاهتمام بذاتها أبعد ما تكون عن الشخصية ، بل إن أنانيتها هذه معادية للشخصية إلى أقصى حد ، ومدمرة لها تمامًا ، وإنْ تكن ذات فردية متميزة . فالشخصية تفترض مسبقاً الخروج من الذات إلى الآخر وإلى الآخرين . فهى تفتقر

إلى الهواء ، ولا تلبث أن تختنق إذا ظلت مغلقة على نفسها . بيد أن خروج الشخصية عن ذاتها لا يعنى فى الوقت نفسه بأى حال من الأحوال ، التخارج Exteriorization أو الإحالة الموضوعية Objectivization . الشخصية هى « أنا » و« أنت » ، « أنا » أخرى . غير أن « الأنت » التى تتجه إليها « الأنا » والتى تدخل معها فى تواصل ليست شيئًا أو موضوعًا ، إنها « أنا » أخرى ، شخصية أخرى . فلا مجال للحديث عن تواصل مع موضوع ، ولا يمكن أن يتم الاتصال بين ذات وموضوع ، ولا يمكن أن يتم بينهما نوع من الالتزام المتبادل . الشخص يحتاج إلى شخص آخر ، بيد أن الآخر ليس خارجيًا أجنبيًا ، ومن ثمَّ فإن علاقة الشخص به لا تعنى التخارج بأية حال من الأحوال . والشخصية توجد فى سلسلة من العلاقات الخارجية مع الآخرين ، وفى أفعال من التواصل معهم . أما العلاقات الخارجية فتعنى الإحالة الموضوعية ، وأما التواصل فيتم على المستوى الوجودى . والعلاقات الخارجية التى تتم فى عالم الإحالة الموضوعية يمكن أن تندرج بوصفها تحديدًا ، ومن ثمَّ فإنها لا تحرر الإنسان من العبودية . وأما التواصل ، فنظرًا لأنه يتم فى العالم الوجودى ، فإنه ينتمى إلى عالم الحرية ، ويعنى التحرر من العبودية . وتشير الأنانية من جهة أخرى إلى عبودية مزدوجة للإنسان : عبودية لنفسه ، عبودية لذاته المتشددة ، وعبودية للعالم يمارس عليه القهر من الخارج . والإنسان المتمركز على ذاته عبد ، وموقفه

من كل ما ليس « أنا » موقف يتسم بالذل والعبودية . فهو لا يدرك إلا « اللا أنا » ، ولا معرفة لديه بـ « أنا » أخرى ، ولا يدرك « الأنت » ، ولا يعرف شيئًا عن حرية الخروج من « الأنا » . ويحدد الإنسان المتمركز على ذاته علاقته بالعالم وبالآخرين دائماً على نحو يتنافى مع الشخصانية ، وهو مهيأ لاعتناق وجهة نظر السلم الموضوعى للقيم . وثمة شيء ناقص فى إنسانية مثل هذا الشخص المتمركز على ذاته ، فهو يعشق التجريدات التى يغذى بها أنانيته ، ولا يحب الأشخاص الذين هم من لحم ودم



الله والشخصية

ولكى نفهم الشخصية حق الفهم ، لابد أن نتذكر دائما أن الشخصية لا تُعْرف بعلاقتها بالمجتمع أو الكون ، أو بعلاقتها بالعالم الذى تستعبده الموضوعية ، وإنما تعرف أولا وقبل كل شيء بعلاقتها بالله . ومن هذه العلاقة الباطنة المستسرة الحميمة تستمد قوتها لتقيم علاقة حرة بينها وبين العالم وبين الآخرين . ويتوهم الفرد المتمركز على ذاته أنه حر فى علاقته بالعالم الذى هو « لا أنا » بالنسبة إليه . ولكنه فى واقع الأمر يتحدد تحديداً يتسم بالعبودية لعالم « اللا أنا » الذى يغلق عليه داخل نفسه . فالأنانية هى مظهر من مظاهر التحديد بواسطة العالم . وتصبح الشخصية الإنسانية عالماً قائماً بذاته حين لا تقوم بينها وبين العالم علاقة تمركز على الذات . وصفة « الكلية » Universality التى تتصف بها الشخصية والتى تستوعب فى ذاتها عالم الموضوعات ليست توكيداً للذات متمركزة على نفسها ، وإنما هى انفتاح على الحب .

والنزعة الإنسانية لحظة ديالكتيكية فى الكشف عن الشخصية الإنسانية . والواقع أن الخطأ الذى تقع فيه النزعة الإنسانية ليس هو بكل تأكيد أنها تركز تركيزًا شديدًا على الإنسان ، وإنما لأنها مسئولة عن حركة التقدم فى الطريق المؤدية صوب الإنسانية الإلهية ، كما يؤكد ذلك

الفكر الديني الروسي فى كثير من الأحيان ، ولكنْ خطؤها الأكبر هو أنها لم تركز تركيزًا كافيًا على الإنسان ، وأنها لم تصل بتوكيدها على الإنسان إلى آخر الشوط ، وأنها لم تضمن للإنسان استقلاله عن العالم ، وأنها كانت تنطوى على خطر استعباد الإنسان للمجتمع والطبيعة . فصورة الشخصية الإنسانية ليست صورة إنسانية فحسب ، إنها صورة الإله أيضاً . وفى هذه الحقيقة تكمن كل ألغاز الإنسان وأسراره ، إنه سر الإنسانية – الإلهية ، المفارقة التى لا يمكن التعبير عنها فى صيغة عقلانية . فالشخصية لا تكون شخصية إنسانية إلاّ إذا كانت شخصية – إنسانية – إلهية . وحرية الشخصية الإنسانية واستقلالها عن عالم الموضوعات هو إنسانيتها – الإلهية . وهذا معناه أن الشخصية لا تصاغ بواسطة عالم الموضوعات ، وإنما بواسطة الذاتية التى تحتجب فيها قوة صورة الإله ، أو بتعبير آخر العنصر الإلهى فى الإنسان . وكما سبق أن قلنا : للإنسان طبيعتان ، وفيه يتقاطع عالمان . فهو يحمل بين جوانحه صورة الإنسان التى لا تتحقق تحققًا كاملا إلاّ إذا تحقق الجانب الإلهى فيه .

هذه الحقيقة هى حصيلة تجربة وجودية روحية ، لا يمكن التعبير عنها بالتصورات العقلية ، وإنما بالرموز فحسب . فقولنا إن الإنسان ينطوى فى ذاته على نفحة إلهية ولا يصبح إنسانًا إلا بتحقيق الجانب الإلهى فيه – هذا القول لا يمكن إلاّ أن يكون رمزًا . فالإنسانية – الإلهية

مفارقة ، لا يستطيع الفكر العقلى هضمها والاعتراف بها ، بل النزعة الإنسانية نفسها لم ترتفع قطّ إلى درجة نستطيع معها تصور هذه الحقيقة المفارقة عن الإنسانية الإلهية . فالتعبير عن هذا السر يفترض تجربة العلو والتجاوز للذات ، والسقوط فى الهوة ، والخلاص منها . والإلهى هو ما يعلو على الإنسان ، وهو ما يتحد اتحاداً يتسم بالاستمرار والغموض مع الإنسانى فى الصورة الإلهية – الإنسانية . ولهذا السبب وحده يصبح ظهور الشخصية فى عالم لا يستعبدها – ممكناً . فالشخصية إنسانية ، ولكنها تتجاوز الإنسانى التابع للعالم . وهى ساحة الصراع بين الله والعالم . والإنسان نفسه رمز ، لأن فيه علامة على شىء مختلف ، كما أنه علامة على شىء مختلف . وبهذا وحده ترتبط إمكانية تحرير الإنسان من العبودية . وهذا هو الأساس الدينى لمذهب الشخصانية ، ولا أقول الأساس اللاهوتى ، وإنما الدينى ، وأعنى به التجريبى الروحى ، أو الوجودى ، فليست الحقيقة الإنسانية الإلهية صيغة عقائدية ، وليست مذهباً لاهوتيًّا ، ولكنها حقيقة تجريبية ، وتعبير عن تجربة روحية .

وهذه الحقيقة نفسها عن ازدواج الطبيعة الإنسانية وتكاملها فى آن معًا تنعكس فى علاقة الشخصية الإنسانية بالمجتمع وبالتاريخ ، ولكنها هنا علاقة مقلوبة ، إن صح هذا التعبير . فالشخصية مستقلة عن تحديد المجتمع لها ، ذلك لأن لها عالمها الخاص ، وهى استثناء ، وكائن فريد لا يتكرر . ولكنها فى الوقت نفسه اجتماعية ، وفيها آثار ورواسب من

اللاوعى الجماعى ، فهو مخرج الإنسان من العزلة . والشخصية تنتسب إلى التاريخ ، وتحقق نفسها فى المجتمع والتاريخ . الشخصية تواصلية ، وهى تفترض مسبقًا التواصل مع الآخرين ، والتعاطف معهم . والتناقض العميق ، والصعوبة التى تعترض الحياة الإنسانية مرجعها إلى هذه السمة الجماعية التواصلية . والعبودية تقف للإنسان بالمرصاد ، وهو بسبيله إلى تحقيق ذاته ، ولهذا ينبغى على الإنسان دائماً أن يثوب ويثوب إلى الجانب الإلٰهى فيه .

وحتى الحياة الدينية للإنسان تتعرض لهذا الخطر ، خطر الإحالة الموضوعية . فمن الممكن أن يُقال بمعنى ما إن الدين اجتماعى بوجه عام ، أعنى أنه صلة اجتماعية . بيد أن هذا الطابع الاجتماعى للدين يشوه الروح ، ويُخْضِع اللا متناهى للمتناهى ، ويجعل النسبى مطلقًا ، ويبعد الإنسان عن منابع الوعى ، وعن معاناة التجربة الروحية ، ففى عالم الباطن ، تكتشف الشخصية صورتها من خلال كشفها عن الجانب الإلٰهى فيها ، من خلال نفاذ الإلٰهى فى الإنسانى . وفى العالم الخارجى يشير الكشف عن الحقيقة إلى تبعية العالم والمجتمع والتاريخ لصورة الشخصية ، إنه نفاذ الشخصية فى العالم الموضوعى ، وهذه هى النزعة الشخصانية . فمن الداخل ، تمنح الشخصية القوة وتتحرر بواسطة إنسانيتها الإلٰهية . وفى الخارج ، يتحول العالم والتاريخ والمجتمع ويتحرر عن طريق الإنسانية ، ومن خلال تفوق الشخصية . والتواصلية تنتقل

من الداخل إلى الخارج ، ولكن هذه الحركة ليست إحالة موضوعية ، لأنها لا تخضع الشخصية للموضوعية . الشخصية ينبغى أن تكون إنسانية – إلهية ، على حين أن المجتمع ينبغى أن يكون إنسانياً .

والحرية ليست حقًا من حقوق الإنسان ، فهذه نظرة سطحية ، إنما حرية الشخصية واجب ، إنها إنجاز رسالة ، وتحقيق الفكرة الإلهية للإنسان ، وتلبية للنداء الإلهى . ينبغى على الإنسان أن يكون حرًا ، ولا عذر له فى أن يكون عبدًا ، لأن من واجبه أن يكون إنسانًا . هذه هى إرادة الله . ومن الناس من يعشق العبودية ، ويقدم من الحجج والذرائع ما يجعل من الحرية حقًا ، وهذه دعوى تتخذ أشكالا مختلفة حيناً بعد حين . فالعبودية هى التى يريدها الإنسان أن تكون حقًا ، لا الحرية . فلا ينبغى إذن أن تكون الحرية ضمن إعلان حقوق الإنسان ، بل ينبغى أن تكون ضمن إعلان التزاماته ، وواجبه فى أن يكون شخصية . فليس من حق الإنسان ولا من واجبه أن يرفض الشخصية . يستطيع الإنسان أن يرفض الحياة ، بل يجب عليه أحياناً أن يرفضها ، ولكن لا ينبعى أن يرفض الشخصية ، وكرامة الإنسان ، والحرية التى ترتبط بهذه الشخصية .

الشخصية والزهد :

والشخصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوعى الرسالة . وعلى كل إنسان أن

يكون واعيًا بهذه الرسالة ، وهى رسالة مستقلة عن المواهب الممنوحة لـه . فهى رسالة له صورة فردية لا تتكرر للاستجابة لنداء الله ، ولاستخدام مواهب المرء استخدامًا خلاّقًا . والشخصية التى هى فى وعى بنفسها تستمع إلى ذلك الصوت الداخلى وتطيعه هو وحده . فهى لا تذعن للأصوات الخارجية . وأعظم الرجال هم أولئك الذين استمعوا إلى الصوت الداخلى ، ورفضوا أن يسايروا العالم حيثما يسير. وترتبط الشخصية أيضًا بالزهد ، بل تفترض الزهد مسبقًا ، أعنى الرياضة الروحية ، وتركيز القوى الباطنة ، وانعقاد العزم ، ورفض الاستسلام لخليط القوى اللا شخصية ، سواء كانت داخل الإنسان أو فى الكون المحيط به . وليس معنى هذا قبول الأشكال التقليدية للزهد ، فإن منها الكثير الذى يتنافى مع الدين ، بل منها ما هو ضار بالشخصية نفسها . فالزهد ينبغى أن يكون فى جوهره المحافظة على أشكال الشخصية ، على صورتها ، ومقاومة سطوة العالم التى تريد تمزيق الشخصية واستعبادها مقاومة إيجابية . الزهد هو كفاح الشخصية ضد العبودية ، فهو مقبول بهذا المعنى وحده . ولكن ، حين يتحول الزهد إلى عبودية ، وهذا ما حدث كثيرًا فى أشكاله التاريخية ، فينبغى رفضه ومحاربته ، والدعوة إلى الزهد الحقيقى . وهذا الزهد الحقيقى ليس هو الخضوع والإذعان ، بل إنه رفض الشخصية للخضوع والإذعان ، فهو تحقيق رسالتها ، واستجابتها لنداء الله . والشخصية فى جوهرها ليست خاضعة أو مذعنة ، إنها

المقاومة ، والفعل الخلاق الذى لا ينكسر. والزهد المرتبط بالشخصية هو المبدأ البطولى فى الإنسان ، أما الزهد المستكين الذليل فهو مهانة ومسبة . والشخصية تفترض الزهد القادر على الاختيار والمقاومة ، مقاومة شهوات النفس وشهوات العالم .



القلق والخوف

ولا وجود للشخصية إذا لم يوجد المتعالى . فالشخصية تقف وجها لوجه إزاء المتعالى ، وفى تحقيقها لنفسها فإنها تعلو وتتجاوز ، ولهذا كان الشعور بالقلق ملازماً للشخصية من حيث هى كذلك ، أى من حيث أنها علو وتجاوز . فالإنسان يشعر بأنه كائن معلق فوق هوة ، وفى خروج الإنسان بوصفه شخصية عن تيار الوجود البدائى الجماعى – يبلغ هذا الشعور بالقلق أعلى درجاته من الحدة والشدة .

ولابد من التمييز بين القلق (Angst) والخوف (Furcht) . وقد قام كيركجورد بهذا خير قيام ، فهو يقول إن للخوف أسبابه وعلله ، فهو مرتبط بالخطر ، وبتجارب الحياة اليومية ، أما القلق فشعور آخر نعانيه لا فى وجه الأخطار اليومية ، وإنما فى مواجهة سر الوجود والعدم ، وعندما نقف إزاء هوة المتعالى ، وحيال المجهول . فالموت لا يثير شعور الخوف فحسب من حادثة تقع دائماً فى عالم كل يوم ، وإنما يثير القلق أيضًا فى مواجهة المتعالى . الخوف يرتبط بالهم ، وبالخشية من الألم وضربات القدر . والخوف يفشل فى أن يضع نصب أعيننا ذلك العالم المتعالى الأسمى ، فهو مرتبط بعالم أدنى ومستوى أدنى ، وهو مقيد بما هو

تجريبى . أما القلق ، فيقع على شفا المتعالى ، حين يواجه الإنسان الأبدية ، وحين يلتقى هو والمصير وجهاً لوجه .

القلق والحنين :

والإنسان كائن لا يعانى الخوف والقلق وحدهما ، بل يشعر أيضاً بالحنين . والحنين أقرب إلى القلق منه إلى الخوف ، ولكنه يتميز بماهيته الخاصة . فنحن لا نشعر به حين نجتاز خطرًا ما ، كما أنه لا يرتبط بالهم ، بل يعمل على التخفيف منه . الحنين يتجه إلى أعلى ، وهو علامة على طبيعة الإنسان الأسمى . وقد كتب على الإنسان أن يعانى فى حياته الشعور بالوحدة والاغتراب فى هذا العالم . وليس هناك ما هو أشد إيلامًا للنفس من الشعور بالغربة وبغرابة كل شىء فى هذا العالم . وحين تتحرك الشخصية فى طريق نموها وتطورها ، فإنها تعانى هذه التجربة . وثمة شىء من المتعالى فى الشعور بالحنين ، وذلك بمعنى مزدوج ، فالشخصية تجتاز اختبارات التجربة بوصفها كائناً متعالياً غريباً فى هذا العالم ، وهى تجتاز الهوة التى تفصلها عن العالم الأسمى ، عن ذلك العالم الآخر الذى ينبغى أن يكون وطناً لها ومنزلا . والحنين الحاد شىء يمكن أن نشعر به فى أسعد لحظات حياتنا . فهناك فى أعماق أعماق الإنسان يستقر الحنين إلى الحياة الإلهية ، إلى النقاء ، إلى الفردوس ، وأسعد لحظات الحياة لا يمكن أن تشبع هذا الحنين . ولهذا لا يمكن أن يكون للشخصية وجود إلا

ويصاحبه هذا الحنين ، لأن الحنين يؤذن بالقطيعة مع هذا العالم الذى ولد فيه الإنسان ، وباستحالة التكيف معه .

وتنسحق الشخصية فى ذاتيتها اللا متناهية بين الموضوعى والمتعالى ، بين عملية الإحالة الموضوعية وعملية الصعود والعلو ، فالشخصية لا تستطيع أن تتصالح مع عالم الموضوعات اليومى الذى قذفت فيه . فنحن نجد الشخصية فى تلك القطيعة وذلك الخصام بين الذاتى والموضوعى . ومن الممكن أن تشعر الشخصية بتضخم ذاتيتها دون أن تنتقل بحركة العلو إلى عالم آخر ، وهذه هى المرحلة الرومانسية . فالحنين يشير دائماً إلى شىء ناقص ، ويتجه إلى اكتمال الحياة . وهناك حنين طاغ معذب إلى الجنس . والجنس حنين ، وهذا الحنين لا يمكن التغلب عليه نهائياً فى العالم اليومى الموضوعى ، لأن الاكتمال النهائى فى هذا العالم أمر يستحيل بلوغه ، هذا الاكتمال الذى يتطلبه الخروج من ذاتية الجنس .

الشخصية والموت :

ويعانى الإنسان أشد أنواع القلق عندما يواجه الموت . وهناك حنين إلى الموت . والإنسان كائن يعيش فى حالة احتضار ، احتضار فى أثناء الحياة نفسها . ولا يكون الموت شيئاً فاجعاً إلا بالنسبة للشخصية ، فهذه المأساة لا وجود لها بالنسبة لكل ما هو لا شخصى . كل شىء فان فى الطبيعة ، ولا محيد له عن الموت ، أما الشخصية فخالدة ، هى الشىء

الوحيد الخالد فى هذا الكون ، لأنها خلقت للخلود والأبدية . والموت هو المفارقة الكبرى فى مصير الشخصية . فالشخصية لا يمكن أن تتحول إلى شىء ، وهذا التحول للإنسان إلى شىء نسميه الموت ، لا يمكن أن يمتد ليشمل الشخصية . الموت هو تجربة الشخصية فى قطيعتها مع مصيرها ، إنه انقطاع فى الاتصال مع العالم . الموت لا يضع نهاية للوجود الباطنى للشخصية ، وإنما يضع نهاية لوجود العالم ، فلا فرق بين اختفائى عن العالم ، واختفاء العالم عنى . ومأساة الموت هى قبل كل شىء مأساة الفراق . بيد أن الصلة بالموت مزدوجة ، فإن لها معنى إيجابياً للشخصية ، ذلك أن اكتمال حياة الشخصية لا يمكن أن يتم فى هذه الحياة ، فى هذا العالم الموضوعى ، ووجود الشخصية فيه وجود جزئى ناقص ، وتقدم الشخصية صوب اكتمال الأبدية يفترض الموت ، واجتياز الهوة . وعلى هذا ، لا يمكن أن نتحاشى الشعور بالحنين فى وجود الشخصية ، كما لا نستطيع أن نتفادى القلق فى مواجهة الأبدية المتعالية .

الشخصية والحب

والشخصية ترتبط بالحب . الشخصية هى الكائن الذى يحب ويكره ، الكائن الذى يعرف الحب (إيروس) Eros والبغض Anti eros . ولا وجود للشخصية دون عاطفة قوية ، كما لا توجد عبقرية بلا عاطفة شديدة . والحب هو السبيل إلى تحقيق الشخصية ، وهناك نوعان من الحب ، حب صاعد وحب هابط ، الحب الذى هو « إيروس » والحب الذى هو « شهوة » (Agape) . وكل منهما فطرى فى الشخصية ، وفى الصعود والهبوط تتحقق الشخصية . وقد كانت تعاليم أفلاطون تدور حول الحب الصاعد الذى هو « إيروس » . و « الايروس » الأفلاطونى ، ابن الثراء والفقر ، هو صعود من عالم الحواس المتعدد إلى عالم المثل الواحد الفريد . وليس « الايروس » هو حب كائن عينى ملموس ، وإنما هو حب الجمال والخير الأسمى ، والكمال الإلهى . حب « الايروس » هو الجاذبية التى تحدثها الأعالى ، حركة إلى أعلى ، صعود ، هو اكتمال الموجود الناقص ، هو إثراء الكائن الفقير المعدم . وهذا العنصر هو العامل الحاسم فى حب رجل أو امرأة ، ولكنه يمتزج بعناصر . فالجنس نقص وقصور ، وهو يثير فينا الحنين إلى الاكتمال ، وإلى حركة نحو الكمال والتمام لا نبلغ نهايتها أبدًا .

ومأساة الحب أنه مرتبط بالصراع بين حب كائن عيني متجسد ينتمي إلى عالم الحس ، وحب الجمال الذي ينتمي إلى عالم المثل . فما من كائن حي يمكن أن يناظر ما في عالم المثل من جمال بالمعنى الأفلاطوني . ومن ثم ، فإن الحب بوصفه « إيروس » ، الحب بوصفه صعوداً ووجداً ، يجب أن يتّحد بالحب بوصفه هبوطاً ، الحب بوصفه شفقة وتعاطفاً . والحب بوصفه « إيروس » موجود في كل حب انتقائي Selective فهو في حب الصديق ، وفي حب الوطن ، بل في حب القيم المثالية. في الفلسفة والفن . وهو موجود في الحياة الدينية أيضاً . والحب الذي هو « إيروس » يقتضي التبادل ، أما الحب الذي هو شفقة فلا حاجة به إلى التبادل ، وفي هذا سرقوه « الإيروس » وثرائه ، فهو يرى صورة « الآخر » ، صورة المحبوب في الله ، بوصفه فكرة الإله عن الإنسان ، إنه يشهد جمال المحبوب ، أما الحب الذي هو عطف وشفقة فيرى « الآخر » مهجوراً من الله ، غارقاً في ظلمة العالم ، في العذاب والألم والقبح .

وللفيلسوف ماكس شيلر أفكار طريفة عن الفرق بين الحب المسيحي والحب الأفلاطوني ، بين الحب المتجه إلى شخصية محسوسة ، والحب المتجه نحو فكرة أو مثل أعلى . غير أننا نرى أن الأفلاطونية قد تغلغلت في المسيحية . فمشكلة الشخصية لم تنشأ بالنسبة للأفلاطونية و « الإيروس » الأفلاطوني ، ولكن المسيحية وضعت هذه المشكلة ، وإن يكن الفكر

المسيحى والطقوس المسيحية قد طمسا هذه المشكلة بتفسيرها اللا شخصى للحب ، سواء بوصفه « إيروس » أو بوصفه « إحساناً » Caritas . فإن لا شخصانية « الإيروس » الأفلاطونى قد انتقلت إلى التفسير اللا شخصى للإحسان المسيحى . بيد أن الكشف عن الطبيعة الجوهرية للحب يؤدى بالضرورة إلى تفسيره بوصفه حركة تتجه من شخصية إلى شخصية . أما « الإيروس » اللا شخصى فيتجه إلى الجمال والكمال بدلا من أن يتجه إلى كائن ملموس ، وإلى شخصية لا تتكرر . والحب اللا شخصى الذى هو شفقة ، حب الإحسان ، يتجه إلى جار لا شخصى ، جار يتألم وفى حاجة إلى العون . هذه هى شريحة الحب التى نجدها فى العالم اللا شخصى الأعلى والعالم اللا شخصى الأدنى ، فى عالم المثل اللا شخصى ، وفى عالم العذاب والظلمة اللا شخصى أيضاً .

أما الحب الذى يرتفع فوق عالم « المشترك » و « اللا شخصى » فهو الحب الذى يتجه إلى صورة الشخصية ، وهو تأكيد لهذه الصورة حتى الأبدية ، وتأكيد حتى الأبدية لتواصله مع هذه الصورة .



انتصار الشخصية

والوعى بالشخصية فى مواجهة العالم يرتبط ارتباطاً عميقاً بوجود الشر. فالشخصية تكتسب القوة فى مقاومتها لسلطان الشر فى العالم الذى يتبلور دائماً فى صورة اجتماعية . والشخصية اختيار ، والاختيار صراع ، ومقاومة لقوة العالم التى تنحو إلى استعباد الفرد . وتتشكل الشخصية فى اصطدامها بالشر فى نفسها وفى البيئة المحيطة بها . ومن مفارقات الشخصية أن الوعى الحاد بها يفترض وقوع الخطيئة والذنب . وانعدام الإحساس بالخطيئة والذنب والشر هو أيضاً انعدام الإحساس بالشخصية ، وهو ذوبان للشخصية فى المشترك والكونى والاجتماعى . وارتباط الشر بالشخصية وبالخطيئة والذنب يؤدى إلى تشخيص الشر ، وإلى خلق صورة لشخصية تكون تجسيداً كلياً للشر. ولكن هذا النوع من تجسيد الشر له جانبه المضاد فى إضعاف الإحساس بالذنب الشخصى والمسئولية الشخصية . وهنا يكمن ما يكتنف المشكلة من تعقيد . وهذه المشكلة نفسها تكمن فى موقف الفرد من الشر ، فما من إنسان يمكن أن يكون تجسيداً وتشخيصاً للشر، لأن الشر فيه جزئى دائماً . ولهذا السبب لا يمكن أن نصدر حكماً نهائياً على أى إنسان . وهذا ما يضع أيضاً حدوداً على مبدأ العقوبة ، فربما اقترف الإنسان جريمة ، بيد أن الإنسان

فى مجموع شخصيته لا يمكن أن يكون مجرماً . ولا ينبغى معاملته على أنه تجسيد للجريمة ، فمازال شخصية ، ومازال فيه الجانب الإلّهى . ولهذا السبب فإن النزعة الشخصانية تعارض معارضة جذرية وأساسية الحكم بالإعدام .

ولا يمكن أن تتحول الشخصية كلها إلى كائن اجتماعى فحسب ، فإن الإحالة الاجتماعية للإنسان لا يمكن أن تكون إلاّ جزئية ، ولا يمكن أن تمتد إلى أعماق الشخصية ، إلى ضميرها ، وإلى علاقتها بمنبع الحياة . والإحالة الاجتماعية التى تمتد إلى أعماق الوجود ، وإلى الحياة الروحية ، هى انتصار « للناس » وللروتين الاجتماعى . إنها طغيان المتوسط والمشترك على الفرد الشخصى . وعلى هذا ينبغى أن يقوم مبدأ الشخصية كمبدأ من مبادئ التنظيم ، بحيث لا يسمح بالإحالة الاجتماعية لوجود الإنسان الباطنى .

إن سيادة الشخصية وانتصارها أمر مأساوى فاجع بالنسبة للإنسان ، ذلك لأنه يضم بين جوانحه اللا شخصى أيضًا ، وهذا اللا شخصى فيه يثور على هذه الحقيقة ، وهى أن تحقيق الشخصية لا يكون ممكنًا إلا من خلال التناقض والتمزق . والإحالة الموضوعية هى مصدر العبودية ، فهى دائماً تنظيم للسيطرة ، وهذا مما يتنافى مع كرامة الشخصية . وفى هذه الإحالة ، وفى التخارج ، وفى تشويه الطبيعة الإنسانية ، يقع الإنسان فريسة لإرادة القوة ، والمال ، والتعطش للملذات والمجد .... الخ ،

وهى كلها أشياء مدمرة للشخصية . وعلى العكس من ذلك ، تحقق الشخصية وجودها ومصيرها فى المتناقضات ، وفى الجمع بين المتناهى واللا متناهى ، وبين النسبى والمطلق ، وبين الواحد والكثير ، وبين الحرية والضرورة ، وبين الباطن والظاهر . فليست هناك وحدة أو تطابق بين الباطن والظاهر ، بين الذاتى والموضوعى ، وإنما هناك افتقار فاجع فى التجاوب وصراع أليم . بيد أن بلوغ الوحدة والكلية لا يتم فى الموضوعية اللامتناهية ، وإنما فى الذاتية اللامتناهية ، الذاتية التى تعلو على نفسها .

محتويات الكتاب

صدر من هذه السلسلة :

١ – طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ – الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ – شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ – أسس التفكير العلمى	د . زكى نجيب محمود
٥ – عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ – تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ – الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ – حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ – علم التفسير	د . محمد حسين الذهبى
١٠ – المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ – تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ – شلل الأطفال	د . مصطفى الديوانى
١٣ – الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ – البطولة فى القصص الشعبى	د . نبيلة إبراهيم سالم
١٤م – عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ – الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ – أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ – المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ – القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ – عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ – العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ – السينما فن	صلاح أبو سيف

٢٢ - فناصل الدول	أحمد عبد المجيد
٢٣ - الأدب العربى وتاريخه	د . أحمد الحوفى
٢٤ - الكتاب والمكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ - الصحة النفسية	د . سلوى الملا
٢٦ - طبيعة الدراما	د . إبراهيم حمادة
٢٧ - الحضارة الإسلامية	د . على حسنى الخربوطلى
٢٨ - علم الاجتماع	د . فاروق محمد العادلى
٢٨م- روح مصر فى قصص السباعى	حسن محسّب
٢٩ - القصة فى الشعر العربى	ثروت أباظة
٣٠ - العمارة الإسلامية	د . كمال الدين سامح
٣١ - الغلاف الجوى	د يوسف عبد المجيد فايد
٣١أ- محمود حسن إسماعيل	د . عبد العزيز الدسوقى
٣٢ - التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغنى حسن
٣٣ - الخلق الفنى	د . مصرى عبد الحميد حنوره
٣٤ - البوصيرى المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصى
٣٥ - التراث العربى	عبد السلام هارون
٣٦ - العودة إلى الإيمان	أحمد حسن الباقورى
٣٧ - الصحافة مهنة ورسالة	د . خليل صابات
٣٨ - يوميات طبيب فى الأرياف	د . الدمرداش أحمد
٣٩ - السلام وجائزة السلام	عثمان نويه
٤٠ - الشريعة الإسلامية	المستشار عبد الحليم الجندى
٤١ - ثقافة الطفل العربى	جمال أبو رية
٤٢ - اللغة الفارسية	د . محمد نور الدين عبد المنعم
٤٣ - حضارتنا وحضارتهم	د . عبد المنعم النمر

العنوان	المؤلف
٤٤ – الأمثال الشعبية	محمد قنديل البقلى
٤٥ – التعريف بالاقتصاد	د . حسين عمر
٤٦ – المستوطنات اليهودية	حسن فؤاد
٤٧ – بدر والفتح	محمد فرج
٤٨ – الفلسفة والحقيقة	د . عبد الحليم محمود
٤٩ – الطب النفسى	د . عادل صادق
٥٠ – كيف نفهم اليهود	د . حسين مؤنس
٥١ – الفن الإذاعى	د . فوزية فهيم
٥٢ – الكتابة العربية	محمد شوق أمين
٥٣ – مرض السكر	د . أحمد غريب
٥٤ – شوق أمير الشعراء ... لماذا ؟	فتحى سعيد
٥٥ – الفلسفة الإسلامية	د . أحمد عاطف العراق
٥٦ – الشعر فى المعركة	حسن النجار
٥٧ – طه حسين يتكلم	سامح كريم
٥٨ – الإعلام ولغة الحضارة	د . عبد العزيز شرف
٥٩ – تاجور شاعر الحب والحكمة	على شلش
٦٠ – كوكب الأرض	د . فرخندة حسن
٦١ – السير الشعبية	فاروق خورشيد
٦٢ – التصوف عند الفرس	د . إبراهيم شتا
٦٣ – الرومانسية فى الأدب الفرنسى	د . أمال فريد
٦٤ – القرآن وحياتنا الثالثة	محمود بن الشريف
٦٥ – التعبيرية فى الفن التشكيلى	د . نعيم عطية
٦٦ – ميراث الفقراء	فؤاد شاكر
٦٧ – العمارة والبيئة	المهندس حسن فتحى

٦٨ – قادة الفكر الاقتصادى	د . صلاح نامق
٦٩ – المسرح الغنائى العربى	محمود كامل
٧٠ – الله أم الطبيعة	د . يوسف عز الدين عيسى
٧١ – بحر الهواء الذى نعيش فيه	د . مدحت إسلام
٧٢ – الأدب الفرنسى فى عصر النهضة	د . رجاء ياقوت
٧٣ – الحرب ضد التلوث	رجب سعد السيد
٧٤ – القصة والمجتمع	يوسف الشارونى
٧٥ – المنتظرون الثلاثة	عبد الله الكبير
٧٥م- محمود أبو الوفا	فتحي سعيد
٧٦ – العسكرية الإسلامية	لواء / جمال الدين محفوظ
٧٧ – النفايات الذرية	د . محمد عبد الله بيومى
٧٨ – الإعلام والنقد الفنى	د . أحمد المغازى
٧٩ – المسرح الأمريكى	د . عبد العزيز حمودة
٨٠ – زحف الصحراء	د . محمد فتحي عوض الله
٨١ – مشاكل الطفل النفسية	د . كلير فهيم
٨٢ – الأدب التركى	د . حسين مجيب المصرى
٨٣ – مضادات الحيوية	د . محمد صادق صبور
٨٤ – الرواية الإنجليزية	د . إنجيل بطرس
٨٥ – الضحك فلسفة وفن	جلال العشرى
٨٦ – الاستثمارات الأجنبية	د . عبد الواحد الفار
٨٧ – لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٨٨ – الحرب عند العرب	د . عبد الرحمن زكى
٨٩ – لئلا نحترف البكاء	نشأت التغلبى
٩٠ – الإسلام وروح العصر	د . حسين فوزى النجار

٩١ – التراث الشعبى	د . عبد الحميد يونس
٩٢ – علم المنطق	د . محمد مهران
٩٣ – القلب وتصلب الشرايين	د . رجب عبد السلام
٩٤ – فن الخزف	سعد الخادم
٩٥ – الإعجاز القرآنى	د . محمد أحمد العزب
٩٦ – سفراء النبى	د . مختار الوكيل
٩٧ – ساعة مع القرآن العظيم	د . عبد العظيم المطعنى
٩٨ – لغة الصحافة المعاصرة	د . محمد حسن عبد العزيز
٩٩ – الكيمياء الصناعية	د . محمد الحلوجى
١٠٠– الدراما الأفريقية	على شلش
١٠١– وكالات الأنباء	شفيق عبد اللطيف
١٠٢– الحدوتة والحكاية الشعبية	محمد فهمى عبد اللطيف
١٠٣– ألف باء السياسة	د . أحمد حمدى محمود
١٠٤– تطور الشعر فى الغناء العربى	غطاس عبد الملك
١٠٥– الحرب الإلكترونية	عبده مباشر
١٠٦– البطل فى القصة المصرية	حسن محسب
١٠٧– عجائب الحشرات	د . محمد طلعت الأبراشى
١٠٨– الإذاعة خارج الحدود	أنور شتا
١٠٨م– مصر الخضراء	د . فاروق الباز
١٠٩ – القانون الطبيعى وقواعد العدالة	عبد السميع المراوى
١١٠ – فن التصوير السينمائى	أحمد الحضرى
١١١ – الطـاقة	د . محمد فتحى عوض الله
١١٢ – الفن والمرأة	شريفة فتحى
١١٣ – نظام الحكم فى الإسلام	د . مصطفى كمال وصفى

١١٤ – رحلتى مع الرواية	فتحى أبو الفضل
١١٥ – التطـــور	د . منى فريد
١١٦ – الأدب والمواطن	عباس خضر
١١٧ – آفاق جديدة فى التعليم	د . طلعت حسن
١١٨ – الفن القبطى	د . باهور لبيب
١١٩ – اجتماعيات التنمية	د . محمود الكردى
١٢٠ – المسرح الشامل	أحمد زكى
١٢١ – رسائل إخوان الصفا	د . على السكرى
١٢٢ – الرمزية الصوفية فى القرآن	د . سيد عبد التواب
١٢٣ – الحب فى الشعر الفارسى	د . عفاف زيدان
١٢٤ – الإنسان والعـــلم	د . عبد العزيز أمين
١٢٥ – نظرات فى القصة القصيرة	حسين القبانى
١٢٦ – الفراعنة أساطين الطب	محمد عبد الحميد بسيونى
١٢٧ – كهــف الحكيم	فتحى العشرى
١٢٨ – فنون الزجل	محمد قنديل البقلى
١٢٩ – للألبان فلسفة وأسرار	د . مصطفى الديوانى
١٢٩م – رعاية الطفل المعوق	عبد التواب يوسف
١٣٠ – الدراما اليونانية	كمال ممدوح حمدى
١٣١ – الأسرة فى الدين والحياة	المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى
١٣٢ – الأدب والحضارة	د . نعمات أحمد فؤاد
١٣٣ – الجراحة علم وفن	د . عوض الدحة
١٣٤ – علم النفس والجريمة	المستشار محمد فتحى
١٣٥ – فن المقال الصحفى	د . عبد العزيز شرف
١٣٦ – الاخراج السينمائى	د فاروق الرشيدى

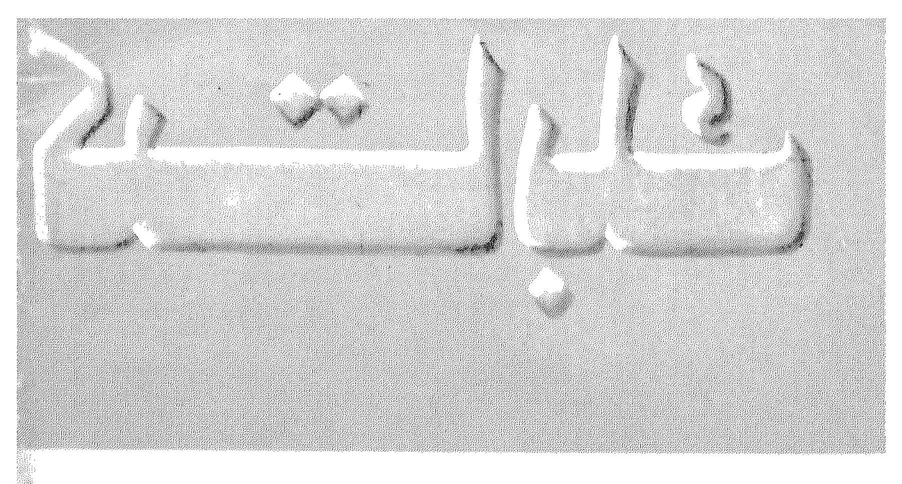
١٣٧ – فلسفة الجمال	د. أميرة حلمى مطر
١٣٨ – النظام المالى فى الإسلام	د. إبراهيم فؤاد أحمد
١٣٩ – الفن التأثرى	صبحى الشارونى
١٤٠ – الكيمياء عند العرب	د. مدحت إسلام

رقم الإيداع	١٩٨١/٣٩٥٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٧٣٤٩-٨٣-١

١/٨١/٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



هـذا الكتاب

الإنسان هو الكائن الذى يتجاوز ذاته ويعلو على نفسه . وتحقيق الشخصية للإنسان هو هذا العلو المستمر على الذات . فالإنسان ينزع دائما إلى الخروج من دائرة الذاتية المغلقة ..

وهذا البحث يدور حول حرية الإنسان ومحاولته الخروج من دائرة ذاتيته الضيقة متجها صوب التفوق على نفسه وتحقيق شخصيته ..



